

الرَّسَالَةُ ٩٩

أَيُّ مَمْلَكَةٍ تَتَّبَعُ؟

(Arabic - What kingdom do you follow?)

عزيرى القارئ.. حديثنا اليومَ موضوعه: أَيُّ مَمْلَكَةٍ تَتَّبَعُ؟

ومن إنجيل متى الأصحاح الثاني عشرَ نقرأ الأعدادَ مِنَ الخَامِسِ والعِشْرِينَ إلى الثَامِنِ والعِشْرِينَ.

"فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرُبُ. وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لَا يَبْنِي. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدْ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. فَكَيْفَ تَبْنِي مَمْلَكَتَهُ؟! وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِيَعْلَزَبُولَ أَخْرِجُ الشَّيَاطِينَ. فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ. لِذَلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قَضَاتِكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أَخْرِجُ الشَّيَاطِينَ. فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ".^١

حَدَّثَ يَوْمَ سَبَبَ أَنْ أَحْضَرَ الْيَهُودَ إِلَى يَسُوعَ رَجُلًا مَجْنُونًا أَعْمَى وَأُخْرَسَ فَشَفَاهُ.. حَتَّى إِنَّ الْأَعْمَى الْأُخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟. فَصَاقَ الْفَرِيسِيُّونَ بِمَا قَالَهُ جُمُوعَ الشَّعْبِ تَقْدِيرًا لِيَسُوعَ عِنْدَمَا أَجْرَى أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ تِلْكَ الْمُعْجَزَةَ.. فَادَّعَى الْفَرِيسِيُّونَ عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ قَاتِلِينَ: هَذَا لَا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِيَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ. وَمِمَّا قَرَأْنَا مِنْ أَقْوَالِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ الَّتِي وَجَّهَهَا إِلَى جَمَاعَةِ الْفَرِيسِيِّينَ الَّتِي أَجَابَهُمْ بِهَا نَجِدُ أَنَّهَا تُشِيرُ إِلَى وُجُودِ مَمْلَكَتَيْنِ غَيْرِ مَرْتَبَتَيْنِ. الْأُولَى يُعْبَرُ عَنْهَا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ أَوْ مَمْلَكَةِ النَّورِ. وَالثَّانِيَةَ يُعْبَرُ عَنْهَا بِمَمْلَكَةِ الشَّيْطَانِ وَهُوَ إِبْلِيسُ أَوْ مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ. وَلَا وُجُودَ لِمَمْلَكَةٍ مُحَايِدَةٍ تَقَعُ بَيْنَ الْمَمْلَكَتَيْنِ.

وَيَسْتَحِيلُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَمْلَكَتَيْنِ. فَلَقَدْ كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ إِلَى مُؤْمِنِي كورنثوس الأصحاح السادس يقول: "أَيَّةُ خُلْطَةٍ لِلْبَرِّ وَالْإِثْمِ. وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنَّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ. وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالٍ. وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ. وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللَّهِ مَعَ الْأَوْثَانِ؟. فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ الْحَيِّ. كَمَا قَالَ اللَّهُ: إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا.. ثُمَّ يَأْتِي التَّخْذِيرُ مِنَ الْإِنْدِمَاجِ فِي مَمْلَكَةِ إِبْلِيسَ بِالْقَوْلِ: لِذَلِكَ أَخْرَجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزَلُوا يَقُولُ الرَّبُّ وَلَا تَمَسُّوا نَجْسًا فَأَقْبِلَكُمْ.. وَأَكُونُ لَكُمْ أَبًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..". لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ فَاصِلٍ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَبِلُوا تَبَعِيَةَ الْمَسِيحِ وَانضَمُّوا إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ. وَبَيْنَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ رَفَضُوا تَبَعِيَةَ الْمَسِيحِ وَانْسَاقُوا وَرَاءَ غَوَايَةِ إِبْلِيسَ وَانضَمُّوا إِلَى مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ.^٢ وَلِدْرَاسَةِ ذَلِكَ الْمَوْضُوعِ نَقَدَّمُ خَمْسَةَ تَأَمَّلَاتٍ نَحَاوُلُ مُنَاقَشَتَهَا بِإِيجَازٍ.

أولاً: مَمْلَكَةُ إِبْلِيسَ كَائِنَةٌ.. فَحِينَ ادَّعَى بَعْضُ الْيَهُودِ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ بِأَنَّهُ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ مُسْتَعْمِلًا رَئِيسَهُمْ بَعْلَزَبُولَ لَمْ يَنْفِ الرَّبُّ وُجُودَ مَمْلَكَةِ إِبْلِيسَ. بَلْ عَلَى الْعَكْسِ أَكَّدَ الرَّبُّ ذَلِكَ بِسُؤَالِهِ الْإِسْتِكْرَارِيِّ لِلْيَهُودِ إِذْ قَالَ: فَكَيْفَ تَبْنِي مَمْلَكَتَهُ إِنْ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ؟!.. نَفَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَمْلَكَةَ إِبْلِيسَ مَمْلَكَةُ مُنْظَمَةِ الْإِدَارَةِ وَالتَّنْظِيقِ. فِيهَا الرُّؤَسَاءُ الَّذِينَ يُدَبِّرُونَ وَيُحْطَطُونَ وَالْمَرْؤُوسُونَ الَّذِينَ يُفْعَدُونَ مَا يُدَبِّرُ وَيُحْطَطُ رُؤُسَاؤُهُمْ. وَالَّذِينَ يَنْضَمُّونَ إِلَى مَمْلَكَةِ إِبْلِيسَ يُطْلَقُ يُوحنا الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى اسْمَ: أَوْلَادِ إِبْلِيسَ. إِذْ يَقُولُ: بِهَذَا أَوْلَادُ اللَّهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلَادُ إِبْلِيسَ.. وَبُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي أفسسٍ يُحذِرُهُمْ بِأَلَّا يُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا.^٣

وَبُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِيهِ إِلَى تَلْمِيذِيهِ تِيمُوثَاوُسَ يُحذِرُ مِنْ فِخَاخِ إِبْلِيسَ وَيَنْصَحُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَ الْمُقَاوِمِينَ بِالْوَدَاعَةِ عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمْ اللَّهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فِخَاخِ إِبْلِيسَ إِذْ قَدْ اقْتَنَصَهُمْ لِإِرَادَتِهِ. وَيُحَدِّثُنَا بِطَرَسِ الرَّسُولِ بِسَفَرِ أَعْمَالِ الرَّسُلِ عَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَقُوَّةِ شِفَائِهِ لِكُلِّ الَّذِينَ تَسَلَطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ إِذْ قَالَ: يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَهُ.. وَذَكَرَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِيهِ الثَّانِيَةِ إِلَى مُؤْمِنِي كورنثوسٍ عَنِ الشَّيْطَانِ وَمَعْنَاهُ الْخَصْمُ وَهُوَ الْاسْمُ

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ١٢ : ٢٥ - ٢٨

^٢ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦ : ١٤ - ١٨

^٣ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣ : ١٠ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٤ : ٢٧ & ٦ : ١١

الأخر لإبليس ومعناه المُستكى أنه قد يَخْدَعُ البَشَرَ بتغيير شكله فقال عنه: ولا عَجَبًا! لأنَّ الشَّيْطَانَ نفسه يُعَيِّرُ شكله إلى شبيهِ ملاك نور. ولمؤمِنِي أفسُس قال لهم: فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ بَلْ مَعَ الرُّؤْسَاءِ مَعَ السَّلَاطِينِ مَعَ وِلَاةِ العَالَمِ عَلَى ظِلْمَةٍ هَذَا الدَّهْرُ مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرَّوْحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.. مَنْ هُنَا نَفَهُمُ أَنَّهَا مَمْلَكَةٌ رَوْحِيَّةٌ تَشغُلُ السَّمَاءَ الَّتِي تَعْلُونَا وَهِيَ أَسْفَلُ السَّمَاءِ ذَاتِ عَرْشِ اللَّهِ المَجِيدِ.^١

ثانياً: إبليس ومن أين جاء؟.. بالرجوع إلى سفر إشعياء الأصحاح الرابع عشر وسفر حزقيال الأصحاح الثامن والعشرين نجد أنه لم يَحْدُثْ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ مَخْلُوقًا شَرِيرًا ودَعَاهُ إبليس. ولكنَّ اللَّهَ خَلَقَ كائناً نورانياً بارِعَ الجَمَالِ فائقَ القُدْرَاتِ والمَواهِبِ. ليرأسَ مَجْمُوعَةَ مِنَ المَلَائِكَةِ وَأَسْمَاءَ زُهْرَةٍ. ويُعرَفُ بِاسْمِ Lucifer في اللغَةِ اللاتينية. كما جَاءَ بالوحي: كَيْفَ سَقَطْتَ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهْرَةٌ بِنْتَ الصَّبِيحِ!.. كَيْفَ قَطَعْتَ إِلَى الأَرْضِ!.. وعلى لسانِ حَزَقِيَالِ النَّبِيِّ يَقُولُ الوحيُ عَنْهُ: أَنْتَ كَامِلٌ فِي طَرَفِكَ مِنْ يَوْمِ خَلَقْتَ حَتَّى وَجِدَ فِيكَ إِثْمٌ!.. وكلمة الله توضحُ أَنَّ زُهْرَةَ هَذَا أَصِيبَ بالغرور والكبرياء. فقال في نفسه أرفعُ كرسيَّ فوقَ كواكبِ الله. أصعدُ فوقَ مُرتَفَعَاتِ السَّحَابِ أَصِيرُ مِثْلَ العَلِيِّ. لذلك طردَ لوسيفر من مملكة العلى مع مَنْ تبعوه من ملائكة تحايل عليهم وخذعهم.^٢

ثالثاً: المصيرُ الذي ينتظرُ إبليس وملائكته وتابعيه.. لقد أغوى إبليسُ آدمَ وحواءَ فسقطا ولعنتُ الأرضُ بسببِ عصيانهما وتمردهما على الله.. وجاء الربُّ يسوعُ إلى الأرض لخلص الإنسان وتحرير الأرض التي تحت سلطان مملكة الظلمة وتأسيس ملكوت الله عليها.. كان مجيءُ المسيح دماراً للشيطان وملائكته.. كتب يوحنا الرائي: "وسمعتُ صوتاً عظيماً قاتلاً في السماء الآن صارَ خلاصٌ إلينا وقدرتهُ ومُلكُهُ وسلطانُ مسيحيه لآتهُ قد طرَحَ المُستكى على إخوتنا الذي كان يشتكى عليهم أمامَ إلينا نهاراً وليلاً وهم غلبوه بدمِ الخروفِ وبكلمةِ شهادتهم".. وكتب أيضاً: "وابليسُ الذي كان يضلُّهم طرَحَ في بحيرةِ النارِ والكبريتِ حيثُ الوحشُ والنبيُّ الكذابُ وسيُعدَّبونَ نهاراً وليلاً إلى أبدِ الأبدِينِ".^٣

رابعاً: موقفُ المؤمنِ من مملكة إبليس.. يقول بولس الرسولُ برسالتهِ إلى رومية: "واللهُ السَّلَامُ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجَلِكُمْ سَريعاً". إنَّ المؤمنَ لَهُ اسْمٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَهُ سُلْطَانٌ عَلَى مَمْلَكَةِ الظلمةِ لِأَنَّهَا تَخْضَعُ لَهُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وللمؤمن أن يستخِدمَ سلطانه الذي منحه اللهُ إياه. فالشيطانُ يَرْتَعِبُ وَيَهْرُبُ مِنْ وَجْهِ المؤمنِ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَدَى خُطُورَةِ الأتقياءِ عَلَى مَمْلَكَتِهِ. قال أحدُ القديسين: "إنَّ المَسِيحِيَّ الحَقِيقِيَّ هُوَ ظُهُورٌ مَنْظُورٌ لِلْمَسِيحِ غَيْرِ المَنْظُورِ. وقال السيِّدُ المَسِيحِيُّ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا".^٤

خامساً: أَى مَمْلَكَةٍ تَتَّبِعُ.. لقد كُنْتُ فِي الخَطِيئَةِ تابعاً لمملكة إبليس ولكنني قِبلتُ خلاصَ المَسِيحِ وَأَصْبَحْتُ تابعاً لملكوتِ الله. كُنْتُ مِيتاً بالذنوبِ والخطايا والأَنْ أَنَا حَيٌّ فِي المَسِيحِ.. لقد قال بولس الرسولُ في رسالتهِ إلى مؤمِنِي أفسُس: "وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوبِ والخطايا التي سلكنم فيها قبلاً حسبَ دهرِ هذا العالمِ حسبَ رئيسِ سلطانِ الهِوَاءِ الذي يَعْمَلُ الآنَ فِي أبنَاءِ المَعْصِيَةِ. اللهُ الذي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا وَنَحْنُ أَمُوتُ بِالخَطِيئَاتِ أَحْيَانَا مَعَ المَسِيحِ. بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخْلِصُونَ بِالإِيمَانِ.. وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ.. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْ لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لِأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ مَخْلُوقِينَ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ.. لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ اللهُ فَاعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلِكَ فِيهَا". عَزِيزِي القَارِي: أَرْجُوكَ أَنْ تَسألَ نَفْسَكَ هَذَا السُّؤالَ: أَى مَمْلَكَةٍ أَتَبِعُ؟^٥

ليتَكَ تَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ.. حَرَّرْنِي إِلَهِي مِنْ كُلِّ مَا يَرِبْطُنِي بِمَمْلَكَةِ الظلمةِ.. اقبَلْنِي رَبِّي فِي مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِكَ.. واستخدمني لمجدِكَ ولهدمِ مملكة إبليس.. شوقُ قلبي إلى ذلكِ اليَوْمِ الذي فيه تَرْتَفِعُ أصواتُ المَلَائِكَةِ الأَبْرَارِ مَعَ القَدِيسِينَ الأَطْهَارِ هاتفةً: قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ العَالَمِ لربنا ومسيحيه فسَيَمْلِكُ إلى أَبَدِ الأَبَدِينِ.. أرفعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ مُخْلِصِي.. واثقاً من استجابتك يا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردتَ سَماعَ تلكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمِنِي كورنثوس ١١ : ١٤ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمِنِي أفسُس ٦ : ١٢ - ٢٠ ،
^٢ سفر إشعياء ١٤ : ١٢ - ٢٠ ، سفر حزقيال ٢٨ : ١٤ - ١٩ ،
^٣ سفر التكوين ٣ : ١ - ٢٠ ، إنجيل يوحنا ٢٠ : ٣١ ، رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢ : ١٠ - ١١ & ٢٠ : ١٠ ،
^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمِنِي رومية ١٦ : ٢٠ ، إنجيل يوحنا ١٤ : ١٢ ، رسالة يعقوب ٤ : ٧ ،
^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمِنِي أفسُس ٢ : ١ - ١٨ ، إنجيل مرقس ٢ : ١٤ - ١٧ ،